الحزب الجمہوری

یدعو الی

طریق محمد

محمــود محمــد طــه

يدعو الى

طريق محمد

الطبعــة الثــالثــة

شعبــان – ١٣٨٩
اكتوبــر – ١٩٦٩

بتقليد محمد

تتوحد الأمة

ويتجدد دينها

بسم الله الرحمن الرحيم

((يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض ، الملك ، القدوس ، العزيز ، الحكيم * هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب ، والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين * وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم * ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ..)) صدق الله العظيم

مقدمة الطبعة الثالثة

هذه هى الطبعة الثالثة من كتيب ((طريق محمد)) ، وكانت الطبعة الأولى قد صدرت فى شهر مارس من عام ١٩٦٦ .. ثم صدرت الطبعة الثانية فى شهر أبريل من عام ١٩٦٨ .. وقد صرفتنا ، يومئذ ، بعض الصوارف عن تصديرها بمقدمة خاصة بها .. وها نحن ، اليوم ، نعود لاصداره فى طبعته الثالثة ، من غير أن نضيف عليه ، أو أن نغير فيه ، ذلك بأننا لم نرد به الى التفصيل ، فى المكان الأول ، وانما أردنا به الى الدعوة الى العودة الى طريق محمد ، بعد أن طال عليها الأمد ، وبعد العهد بين الناس وبينها ، حتى اندرست ، وقل سالكوها ، فقد المرشدون اليها ..

ما هو الطريق

الطريق هو النهج العملى الذى يوصل سلوكه الى الله ، تبارك وتعالى ، .. فليس الى الله ، تبارك وتعالى ، وصول بالمعنى الذى يؤديه حرف الكلمة ، وانما المقصود بكلمة الوصول ان يكون حضور السالك مع الله أكثر من غفلته عنه .. والطريق شريعة ، وزيادة .. الطريق شريعة موكدة .. فحين يكون المسلم العادى صاحب شريعة ، يكون المسلم المجود صاحب طريقة .. ونستطيع أن ندرك هذا بمجرد الملاحظة العابرة لرجل متطرق ، وآخر غير متطرق ، فانك ترى أن الرجل غير المتطرق اذا صلى المغرب ، مثلا ، عدد على سبحته ـ وهذا هو الغالب ـ التسبيحات ، والتحميدات ، والتكبيرات ، الثلاث والثلاثين ، ثم انصرف عن مصلاه . هذا فى حين أن الرجل المتطرق ينتبذ من مصلاه ناحية يؤدى فيها أساس طريقته من الأوراد التى تعتبر الحد الأدنى فى أية طريقة .. فلكأن المتطرق صاحب « مقطوعية » عاهد على أدائها ، حين أخذ عهد الطريق ، وبذلك يتميز ، ويزيد عن صاحب الشريعة العادى .. ومن أجل هذا قلنا أن الطريق شريعة موكدة .. ومن الحديث أن المعصوم قد قال : « قولى شريعة ، وعملى طريقة ، وحالى حقيقة . » وعمله سنته .. وسنته شريعة ، وزيادة .. شريعة موكدة .. ومن أجل ذلك قد التزم بأشياء ، فى العبادة ، وفى السيرة ، لم يلتزم بها أصحابه ، وما ذاك الا لقصورهم عن شأوها ، ذلك بأنهم أصحاب شريعة ، فى حين أنه صاحب طريقة .. ويخطىء كثيرا من يظنون أن عمل النبى

خاص به ، وأنا غير مطالبين به .. اذ الحق أنه مطلوب منا أتيانه حين نطيقه ، وما جعل فى حقنا غير ملزم الا لقصورنا ، فاذا استيقنا ذلك نوشك أن نرتفع عن قصورنا لنقتدى بالمعصوم ، فى تمام عمله ، وكمال حاله .. قال تعالى .. « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله» ولا يكون الاتباع الا فى تمام العمل ، وكمال الحال ..

من هو محمد

محمد ، بن عبد الله ، بن عبد المطلب ، النبى الأمى ، المبعوث من قريش فى الأميين منذ القرن السابع ، والذى ختم الله به النبوة ، وأنزل عليه القرآن المقروء اليوم ، والمحفوظ بين دفتى المصحف ، لا يعرفه المسلمون وأن ظنوا جهلا أنهم يعرفونه .. وهذه الدعوة الى أتباعه ، وحسن تقليده التى يقدمها هذا الكتيب : « طريق محمد » لا تستقيم ، على خير وجوهها ، الا اذا قدمت تعريفا به يجعل أتباعه ، وتقليده ، عملا علميا يحترم أقوى العقول المعاصرة ، ويقنعها بجدوى ممارسته ، واتقانه ..

الرسالة . النبوة . الولاية :

ومن أجل التعريف بمحمد ينبغى تدقيق النظر فى كلمته آنفة الذكر ، وهى قوله : «قولى شريعة ، وعملى طريقة ، وحالى حقيقة .. » فانها تشير الى مراتب مقامه الثلاث : مرتبة

الرسالة ، ومرتبة النبوة ، ومرتبة الولاية .. فأما مرتبة النبوة فانها الأصل ، وهى وسط بين طرفين : من أعلاها الولاية ، ومن أسفلها الرسالة .. ذلك بأن النبوة عندما استوت انبثقت منها الرسالة كوظيفة .. ثم هى كلما زادت استواء تسامت الى مراتب الولاية ، فى الفينة بعد الفينة .. هذا ما من أجله قررنا أن النبوة أصل ..

وانما بالنبوة بدأ الوحى ، فان أول ما نزل من القرآن على اطلاقه ، آيات النبوة من قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم » .. ثم لما استعد المكان نزلت آيات الرسالة ، من قوله تعالى : « يأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر » .. وفى بيان هذا الأمر قال المعصوم : (أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، ثم قال : « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين ») فان صدر هذا الحديث نبوة ، وعجزه رسالة .. ومع أن هذا الحديث يقرأ فى نفس واحد ، الا أن ما يحكى عنه لم يحدث فى جلسة واحدة .. فان عبارة : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » تحكى أمرا استغرق تمامه أربعين سنة ، وهى مدة استواء النبوة ، بين المولد والبعث الرسولى .. هذا باعتبار النبوة منذ المولد ، وفى الحق ، أن نبوة نبينا أزلية ، وقد بدأ بروزها ، فى عالم المحسوس ، وهو فى خلوة الرحم ، ثم أخذ بروزها الحسى يظهر ، ويزداد ظهورا ، فى أطوار شبيبه المختلفة ، حتى اذا ما اعتزل المجتمع ، وآوى الى غار حراء ، كان أول أطوار نضجها قد بدأ ،

ثم هى لم تلبث أن انبلج فجرها ، بعد خمس عشرة سنة من التحنث ، والتخضع ، وذلك ببدء نزول القرآن ..

وعن أزلية نبوته قال المعصوم : « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين . » ومعنى هذه العبارة أنه كان نبيا ، عالما بنبوته ، فى الأزل . وقد ظهر مصداق ذلك عندما برز الى عالم الأجساد ، فانه وهو جنين فى رحم أمه كان يختلف عن الأجنة فى الأرحام ، فقد برىء وحام أمه به مما تتعرض له وحامى النساء من الغثيان ، وخبث النفس ، واستيفاز الشعور . وكان حمله على أمه خفيفا ، تجد بركته فى يقظتها بالصحة ، وبهجة النفس ، وبالمسرة المتصلة ..وتجد بركته فى نومها بالرؤى المفرحة .. وبمثل ذلك اختلفت طفولته ، واختلفت يفاعته ، واختلف شبابه ، حتى لقد أيقن أنه خلق لغير ما خلق له أترابه من الشباب ، ثم لم يلبث ان ألح عليه هذا الايقان حتى اعتزل المجتمع ، وآوى الى الغار ..

وعن مراتب مقامه الثلاث هذه قال ، ليلة عرج به : « سألنى ربى يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت أنت ربى أعلم ، فوضع يده على كتفى ، فوجدت بردها بين ثديى ، فأورثنى علم الأولين والآخرين .. وعلمنى علوما شتى : فعلم أخذ على كتمانه ، اذ علم أنه لا يقدر على حمله غيرى ، وعلم خيرنى فيه ، وعلم أمرنى بتبليغه الى العام ، والخاص ، من أمتى ، وهى الأنس والجن .. » فالعلم الذى أمره بتبليغه للخاص والعام من الأمة ، هو علم الرسالة ، وهى تشمل القرآن المقروء بين دفتى المصحف ، وتشمل تبيين هذا

القرآن ، فى التشريع ، فى مستوى حاجة الأمة .. وفى التفسير ، فى مستوى طاقة الأمة .. وهو قد قال : « نحن ، معاشر الأنبياء ، أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم » فالرسالة ، اذن ، لا تشمل تبيين القرآن كله ، كما يظن بعض الناس ، لا فى التشريع ، ولا فى التفسير ، فان ذلك أمر ممتنع من جملة وجوه .. والعلم الذى خير فى تبليغه يقع بعضه فى حيز الولاية ، ويقع سائره فى حيز النبوة . ويظن بعض الناس أن النبى مأمور بتبليغ كل ما وعى عن ربه ، وذلك ظن شديد الدلالة على قلة بصر هؤلاء بحقائق الدين ..

والنبى ، فى ولايته ، أكبر منه فى نبوته ، ذلك بأنه فى النبوة يتلقى عن الله بواسطة جبريل ، ولكنه فى ولايته يتلقى عن الله كفاحا ، وقد رفعت الواسطة من بين الرب والعبد .. وآنما عن ذلك أخبر ليلة المعراج ، حين أخبر أن جبريل ، عندما انتهى الى مقامه عند سدرة المنتهى ، قال له : ها أنت وربك ، وتخلف ، فقال : أهذا مقام يترك فيه الخليل خليله ؟ قال : هذا مقامى ، ولو تقدمت خطوة لاحترقت !! « فزج بى فى النور » ، وهو يعنى هنا نور الذات ، وليس لجبريل بنور الذات طاقة ، لأنه لا ذات له ، (لا نفس له) ، ومن ههنا بدأت ولاية النبى .. فالرسالة وحى بالقرآن المقروء ، ووحى بشرع منه ، أمر النبى بتبليغه لسائر الناس .. والنبوة وحى بالقرآن المقروء ، ووحى بشرع منه ، أمر النبى أن يعمل به فى خاصة نفسه .. فهو بالرسالة صاحب شريعة ، وهو بالنبوة صاحب طريقة .. أو قل صاحب « سنة » .. وبين « شريعته » و « سنته » تداخل ، ومنهما

أرض مشتـــركة ٠٠ ولكننا نعنى هنا بالتكليف الذى به زاد النبى عن سائر أمته ، فى العبادة ، وفى السلـوك ٠٠ ومن ذاك أن كل شريعته ملزمة لأمته ، ولكن بعض سننه غير ملزمة الا له هو فى خاصة نفسه ، لأنها شريعته الخاصة به ٠٠ وهى لا تلزم من أمتـه الا من التزم بها ، تطوعـا ، وسلوكا ، واتباعا ، واتقـان تقليـد ، على قاعدة : « قل ان كنتم تحبـون الله فاتبعونى يحببـكم الله ٠٠ »

وفيصل القـول فى أمـر المراتب الثلاث هو أن النبـوة مرتبـة شريعة خاصة ، تهيـأ النبى لها بفضل الله ، ثم بطـول الممارسة لحياة الخلوة ، مما أورثه تيقظ الشعور ، وصفاء الفكر ٠٠ ثم ان النبى ، بمواصلة المجاهدة فى شريعتـه هذه الخـاصة ، فى العلم ، والعمل بمقتضى العلم ، فى العبادة والمعامـلة ، يزيد فى تيقظ شعوره ، وصفاء فكره ، كل حين ، مما يؤهله للنهوض بوظيفة الرسالة ، وتحمل أعباء الارشاد ، والتسليك ، والهداية ، بصورة تزيـد كل يوم جـديد ٠٠ وفى هذا الطرف من النبوة ــ طرف الزيادة ــ تقع الولاية ٠٠ لأنها هى الطرف الرفيع ، اللطيف ، من النبوة ، فى حين أن الرسالة هى الطرف الغليظ ، الكثيف منها ٠٠ وعن استمرار تيقظ حياة فكره ، وحياة شعوره ، قال : « انه ليغان على قلبى ، حتى استغفر الله ، فى اليوم والليلة ، سبعين مرة ٠ » وهو فى كل مرة يستغفر فيها الله تعالى يرقى درجة من درجـات القرب من سدة القدس ٠٠ والغان ههنا حجاب النور ٠٠ وهو يعنى حجاب الفكر ٠٠ فهو كلما تغشى فكـره فى الله كـدر من دواعى الجبلة ، استغفـر الله ، فعـاود الصفاء فكره ، واتسعت لهـذا الصفاء حياة الشعـور ، وذلك لما يتلقى القلـب من فيوضـات التراويح ٠٠ تراويح القـرب ٠٠ وعن قمة ترقيه فى مشاهد هذا

القرب ـ وهى مشاهد ولاية ـ قال : « لى ساعة مع الله لا يسعنى فيها ملك مقرب ، ولا نبى مرسل .. » ..

فكأن المراتب الثلاث : نبوة أهلت ، من أسفلها ، لرسالة ، وأثمرت ، من أعلاها ، ولاية .. ثم ان هذه النبوة لا تستقر ، وانما هى منطلقة فى مراقى الزيادة ـ علم ، وعمل بمقتضى العلم ـ وفى ذلك قال تعالى لنبيه : « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه ، وقل ربى زدنى علما » . وكلما زادت أنوار النبوة ، زاد التأهيل للنهوض باعباء الرسالة من جانب ، وتندحت الولاية بأطايب الثمرات من الجانب الآخر .. وما ثمرات الولاية الا دقائق المعرفة بالذات العلية .. وانما بهذه المعرفة لدقائق ، ولطائف ، أسرار الذات القديمة ، تتوحد الذات المحدثة .. وذلك باتساق القوى المودعة فى البنية البشرية ، اتساقا به يتم السلام الداخلى ، وبه يحقق كل فرد فرديته التى بها يمتاز عن أفراد القطيع البشرى .. فان تحقيق فردية كل فرد منا بفضل توحيد ذاته البشرية هو غاية المراد من تعبدنا الله بعقيدة التوحيد ، ذلك بان ذات الله فى غنى عن التوحيد ، وانما المحتاج للتوحيد هى الذات البشرية التى فرقها الخوف أباديد ..

الاحمدية والمحمدية

لقد أنى للناس ان يميزوا ، بصورة دقيقة ، ليس بين النبوة والرسالة فحسب ، وانما بين الاحمدية والمحمدية أيضا .. فالاحمدية نبوة ، والمحمدية رسالة .. ونبينا محمد بن عبد الله جمع بين الاحمدية والمحمدية .. فهو احمدى النبوة ، محمدى الرسالة .. أو قل هو مما يلى الله احمدى ، ومما يلى الناس

محمــدى •• هــو احمــد فى السماء ، محمــد فى الأرض ••

والفــرق بين الاحمــدية والمحمدية كبير •• المسافة بعيدة بين الاحمدية والمحمدية •• فأن المحمدية تنــزل من الأحمدية ، اقتضاه حكم الوقت وعين مستواه حاجة الأمــة فى القرن السابع ، وطاقتها •• وهذه المسافة تمثل الفرق بين السنــة والشريعــة ، وهذه تحكى الفرق بين مستوى النبى ، ومستوى الأمة ، وهــو فرق شاسع جدا •• وقــد قلنا مرارا كثيرة ان النبى لم يكن من مجتمع القرن السابع الميــلادى ، وانما هو قد أتاهم من المستقبل ــ أتاهم من القرن العشرين ــ وهو ، وان عــاش معهم ، فأنمــا كان يعايشهم ، ويعاشرهم ، ولكنه لم يكن منهم • فقد كان هو المسلم الوحيــد بينهــم ، وكانــوا هم المؤمنين •• فقد روى عنه أنه قال ذات يوم : « واشوقاه لأخوانى الذين لما يأتوا بعد !! قــالــوا : اولسنا أخــوانك يارسول الله ؟ قــال : بل انتــم أصحــابى •• واشوقاه لأخوانى الذين لما يأتوا بعد !! قالوا أو لسنــا أخوانك يارسول الله ؟ قــال : بل انتــم أصحابى •• واشوقــاه لأخوانى الذين لما يأتوا بعد !! قالوا : من أخوانك يارســول الله ؟ قال : قوم يجيئون فى آخــر الزمان ، للعامل منهم أجر سبعين منكم !! قالوا : منا ، أم منهم ؟ قال : بل منكم !! قالوا : لماذا ؟ قال : لأنكم تجدون على الخير أعوانا ، ولا يجدون على الخير أعوانا • » •• وروح هذا الحديــث فى التفــريق بين الأصحاب والأخوان •• فقــد كان المؤمنــون أصحــابه ، ولم يكونوا أخوانه •• وانما أخوانه المسلمــون ، وهم لم يكــونوا حاضريه يومئذ ، وانما كان هو فرطهم •• وقد عبر عنهم بقوله : « الذين لما يأتوا بعد » : وحديثه

عنهم، وتعبيره، مأخوذان من قول الله تعالى فى الآيات الكريمات التى صدرنا بها هذه المقدمة ، وذلك قوله : « وآخرين منهم ، لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم » فبعد أن تحدث عن الأميين الذين بعث فيهم نبينا : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب ، والحكمة ، وان كانوا ، من قبل ، لفى ضلال مبين » جاء ليقول : « وآخرين منهم ، لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم » .. فالأولون هم الأصحاب ، والآخرون هم الأخوان الذين قال عنهم نبينا فى حديثه « الذين لما يأتوا بعد » أخذا من عبارة القرآن : « لما يلحقوا بهم » .. وعبارة النبى : « للعامل منهم أجر سبعين منكم » مأخوذة من القول الكريم : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » ..

ويؤخذ من دقائق حقائق الدين أن نبينا رسول الأمتين : الأمة المؤمنة ــ الأصحاب ــ .. والأمة المسلمة ــ الأخوان ــ .. وأنه بذلك صاحب رسالتين : الرسالة الأولى محمدية ، والرسالة الثانية احمدية .. أو قل الرسالة الأولى الشريعة التى فصلها للأمة ، والرسالة الثانية السنة التى اجملها ، ولم يفصلها الا فى معنى ما مارسها ، وعاشها دما ولحما ..

وهو قد قال : « بدأ الأسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء ! قالوا : من الغرباء ، يارسول الله ؟ قال : الذين يحيون سنتى بعد اندثارها .. » وهو حديث قد اشرنا اليه من قبل فى هذه المقدمة ، ولفتنا الانتباه الى أنه لم يقل يحيون شريعتى ، وانما قال : « يحيون سنتى » . ولابد

لمن يريد أن يعرف دقائق الدين ان يملك المقدرة على التمييز بين الشريعة والسنة ، وذلك أمر يقصر فيه كثير من الناس ، ممن يتصدون للحديث عن الدين ، ان لم نقل كلهم ..

وفى قول الله تعالى : « واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدى من التوراة ، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا : هذا سحر مبين * ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب ، وهو يدعى الى الاسلام ؟ والله لا يهدى القوم الظالمين » اشارة لطيفة الى الأحمدية والمحمدية .. فانه قد جاء محمد بنبوة احمدية ، ورسالة محمدية .. فكان احمد المشار اليه من وجه ، ولم يكنه من وجه .. فدعا الى الايمان تفصيلا ، ولم يدع الى الاسلام الا اجمالا ، فى معنى ما بلغ القرآن ، وفى معنى ما سار السيرة .. وقد استجابت له أمة المؤمنين .. وسيجىء محمد بنبوة احمدية ، ورسالة احمدية ، فيدعو أمة المؤمنين ، ويدعو غيرها من سائر الامم الى الأسلام ، ويفصل ، فى التشريع ، وفى التفسير ، ما اجمل فى القرن السابع .وسيستجاب له استجابة مستفيضة ، ذلك بأن وعيد الله يومئذ سيستعلن .. وذلك حيث يقول ، جل من قائل ، : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين .» ووعد الله سيتحقق ، وذلك حيث يقول ، تبارك من قائل : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا . »

ولما كانت البشرية ، على عهد الجاهلية الأولى ــ جاهلية القرن

السابع – متخلفة ، وساذجة ،وجاهلة ، فقد اقتضى حكم الوقت تنزل المحمدية عن الأحمدية تنزلا كبيرا ، وذلك حتى تخاطب الناس على قدر عقولهم ، وحتى تشرع لهم فى مستوى حاجتهم ، وهى حاجة بسيطة . وكان هذا التنزل من مستوى آيات الأصول فى القرآن ، الى آيات الفروع ..واصبحت بذلك آيات الفروع صاحبة الوقت ، واعتبرت ناسخة، فيما يخص التشريع ، لآيات الأصول . وقد عالجنا هذا الأمر بتوسع فى كتابنا « الرسالة الثانية من الاسلام » وهو كتاب قد خرجت طبعته الثالثة قبل أيام قلائل ، فليراجعه من شاء .. والآن ، وفى النصف الثانى من القرن العشرين ،والبشرية تعيش الجاهلية الثانية – جاهلية القرن العشرين – وهى جاهلية أرفع ، بما لا يقاس ، عن مستوى جاهلية القرن السابع ،فقد أصبحت الأرض مهيئة لتتلقى عن الأحمدية، وتعى ، أكثر مما تلقى ، ووعى ،أسلافها ، وكذلك جاء وقت الرسالة الأحمدية .. والرسالة الأحمدية تطوير للرسالة المحمد .. وذلك ببعث آيات الأصول التى كانت فى عهد المحمد منسوخة لتكون هى صاحبة الوقت فى القرن العشرين ، وتكون هى عمدة التشريع الجديد ، ولا يقتضى كل أولئك الا فهما للقرآن جديدا ، به تحيا السنة بعد اندثارها ..

الذات المحمدية

الذات المحمدية أول قابل لتجليات الذات الالهية .. وهى المشار اليها فى حديث جابر بن عبد الله الانصارى ، قال قلت : « يا رسول الله ، بأبى انت ،وأمى ، أخبرنى عن أول شىء خلقه الله .. قال : أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر . »

والذات المحمدية حقيقة احمدية ، قمتها ولاية ، وقاعدتها نبوة .. ومقامها المقام المحمود الذى قامه النبى ليلة عرج به بعد أن جاوز سدرة المنتهى ، وفيه صح له الاتصاف بقوله تعالى : « ما زاغ البصر ، وما طغى » . وذلك فى جمعية بلغت فيها وحدة الذات البشرية قمة طوعت لها شهود الذات الالهية..

ثم ان النبى لم يلبث ان عاد ، بعد تلك الالمامة النورانية ، الى حياته العادية فى مكة ، وكان الله قد آتاه معراجا يوميا ، وأمره بالمداومة عليه ، ومناه أن يبلغه به ، على مكث ، المقام الذى قامه بين يديه ليلة المعراج .. فقال تعالى : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » .. ذلك المعراج هو الصلاة .. فقد كان محمد بمنهاج الصلاة ، فى المكتوبة ، والنافلة — ليلا ونهارا — يقترب ، كل لحظة ، ويعرج ، كل حين ، ويحقق ، فى الدم واللحم ، المقام الذى اطلعه الله عليه ليلة المعراج .. وهذا ما من أجله قال : « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » وقرة العين تعنى طمأنينة القلب ، ولا تكون طمأنينة القلب الا بجمعية النفس بعد التوزع .. ولقد حقق محمد هذه الجمعية بفضل اطلاعه على وحدة الذات الالهية . فاطمأنت نفسه ، واحلولت شمائله ، واكتملت حريته .. وأكبر دليل عندى على كمال حريته الداخلية عزوفه عن السيطرة على الآخرين .. فالمعروف عنه أنه كان يكره أن يتميز على أصحابه . وكان يحب أن يكون كأحدهم . وكان ينهاهم أن يعظموه ، ويقول لهم : لا تعظمونى كما تعظم الأعاجم ملوكها . وكان يقول : من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار .. ووفد عليه ،

ذات مرة ، رجل فأخذته هيبته ،فلجلج ، ولم يستطع أن يبين عن حاجته ، فقال له : هون عليك !!فانى لست ملكا ، وأنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد .. فسرى عن الرجل ، واستعاد رباطة جأشه ، وكرامة انسانيته .. ولقد خير : أيكون نبيا ملكا ؟ أم يكون نبيا عبدا ؟فاختار أن يكون نبيا عبدا .. والعبودية لله هى غاية الحرية ،وكلما زاد العبد فى التخضع لله ، كلما زادت حريته .. والعكس صحيح .. فالملك تسلط على الآخرين ، وبه تنقص عبودية العبد ، وتنقص ، تبعا لذلك ، حريته ، ولذلك فقد آثر الحرية ،فى معنى ما آثر العبودية لله ..

هذه نفس اكتملت لها عناصر الصحة الداخلية ، واتسقت قواها الباطنية ، وتحررت من الاوهام ، والاباطيل ، وسلمت من القلق ، والخوف العنصرى ،البدائى ، الساذج ..

ما أحوج بشرية اليوم ،كلها ، الى تقليد هذه النفس التى اكتملت لها أسباب الصحة الداخلية ، تقليدا متقنا يفضى بكل رجل ، وكل امرأة ، الى احراز وحدة ذاته ، ونضج فرديته ، وتحرير شخصيته ، من الاضطراب، والقلق الذى استشرى فى عصرنا الحاضر بصورة كان من نتائجها فساد حياة الرجال والنساء والشبان .. فى جميع أنحاء العالم ..

والمسلمون ما خطبهم ؟

المسلمون ، اليوم ، ليسوا على شىء ، وانما هم فى التيه .. يعيشون الجاهلية الثانية ـ جاهلية القرن العشرين ـ والعاملون منهم بالدين لا يتعدى عملهم القشور الى اللباب .. وليس لهم الى

خروج من هذا الخزى غير طريق محمد .. ونحن اذ تقدمه لهم فى هذا الكتيب ، واذ ندعوهم اليه ، ننذرهم عواقب الابطاء فى الأخذ به .. ثم أننا ، من وراء المسلمين ، وبعد المسلمين ، نقدمه للانسانية جمعاء ، فليس لها من طريق غيره الى كمال التحرير ، ولا كمال التمدين ..ومن أجل ذلك فقد جاءت عبارة اهدائه هكذا :ـ

« الى الراغبين فى الله ، وهم يعلمون ، والراغبين عن الله ، وهم لا يعلمون .. فما من الله بد . »

العودة

قال تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيدا » .. ولما يظهر الاسلام على الدين كله ، وانما ظهوره أمامنا ذلك وعد غير مكذوب .. وقال المعصوم : «بدأ الاسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء !! قالوا : من الغرباء يا رسول الله ؟ قال : الذين يحيون سنتى بعد اندثارها » ..

فالاسلام عائد ، ما فى ذلك أدنى ريب .. وستصحب عودته الغرابة ، كما صحبت بدأه ..وما ذاك الا لأن عودته ستكون عن طريق بعث « لا اله الا الله » من جديد، قوية ، خلاقة ، فى صدور الرجال ، والنساء ، كأول العهد بها ـ باختلاف واحد، هو أن عمود التوحيد ستكون له قمة جديدة ، أعلى مما كانت عليه فى العهد الأول ، وذلك أمر يقتضيه حكم الوقت الحاضر ، كما يقتضيه محض الفضل الالهى ، المحكى فى الآية الكريمة : « كل يوم هو فى شأن » ..

وانما من أجل تمهيد طريق هذه العودة أخرجنا هذا الكتيب، : «طريق محمد» ، وقمنا بالدعوة اليه .. وانما من أجل هذا التمهيد كتبنا هذه المقدمة الطويلة، للطبعة الثالثة من هذا الكتيب المهم .. فان التقليد بغير وعى ،وتمام ادراك ، قليل الجدوى ، وقد يكون عملا آليا لا روح فيه قصاراه التعب .. ولكى يكون التقليد موصلا للثمرة المرجوة منه وجب أن ينبعث عن ثقة بالمقلد ، وطمأنينة اليه ، .. وتوقير ،وتقديس .. ومحبة له ..

التقديس والتوقير

وأيسر ما يقوم عليه التقليد النافع أن يكون صدر المقلد منطويا على قدر كبير من التقديس، والتوقير للنبى ، وهذا ما من أجله أخذ الله الأصحاب بالأدب معه ، وأمرهم بالصلاة عليه ، فقال ، عز من قائل : « إن الله وملائكته يصلون على النبى ، يأيها الذين آمنوا صلوا عليه ،وسلموا تسليما » .. ونحن هنا قد قررنا أن الأصحاب هم المؤمنون ، والأخوان هم المسلمون . وفى كتابنا « الرسالة الثانية من الاسلام » قلنا أننا سنفهم القرآن فهما جديدا اذا استطعنا أن نميز بين مرحلة المؤمنين ، ومرحلة المسلمين .وفصلنا الأمر هناك تفصيلا يغنينا عن الاعادة هنا .. فليراجع فى موضعه .. ونكتفى هنا بأن نقرر أن المسلمين أقرب الى الله من المؤمنين .. وصلاتهم لله اتم واكمل من صلاة المؤمنين له .. وصلاتهم على النبى اتم وأوفى من صلاة المؤمنين عليه .. والمسلم ، اذا اكتملت حقيقته ، انبثقت منها شريعته ، فاصبح صاحب شريعة فردية فى الصلاة لله ، وفى الصلاة على النبى ،لا يتقيد فيهما بنهج صلاة المؤمنين فى كل أولئك ..وهو انما تكتمل له حقيقته ، وتبرز له شريعته

الفردية منهـا ، بفضل الله ، ثم بفضل حسن تقليـده للنبى ..
وما من مسلم الا وقد مر بمرحلة المؤمنين ... والأمة المسلمـة
تبدأ بمرحلة الأمـة المؤمنة .. والفرق بين المسلمـين ، وهم فى
مرحلة الايمان ، وبين المؤمنين ، هو أن الطريق مفتوح للتطور فى
السلم السباعى فى حق المسلمين ، فى حين أنه مقفول ، عند الدرجة
الثالثة ، فى حق المؤمنين ..

ومحمد ، وهو رسول للامة المسلمة ، صاحب رسالة أكبـر
منه وهو رسول للامة المؤمنة .. فهو فى رسالته للمسلمين احمدى ،
وفى رسـالته للامـة المؤمنـة محمدى ، وسـبب الفرق بين
الرسالتين حكم الوقت .. الفرق بـاين وقـت الرسـالـة الأولى
ـ القرن السابع ـ .. ووقت الرسالة الثانية ـ القرن العشرين ..
من أجل الاشـارة الى هـذه المسائل صدر هـذا الكتـاب ،
من تحت يدنا ، من غير اثبـات الصلاة اللفظية على النبى ، مع
أنه كله صلاة عليه فى مستوى أرفع مما يصلى عليه المصلون ..

وأصحابنا لا يهملون الصلاة اللفظيـة وهم يقرءون هـذا
الكتاب ، أو كلما ذكر عنـدهم النبى الكريم .. وهذا ما يجـب
أن يكون عليـه الشأن أثنـاء السير ، والتطور نحو الاسلام ،
وعند الاسلام ؟؟ .. « قل كل يعمل على شاكلته .. »

الاهـــــداء :ـ

الى الراغـبين فى الله وهم يعلمون ،
والراغـبين عن الله وهم لا يعلمون ..
فما من الله بد ..

« اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »

تمهيد :

ان دولة القرآن قد أقبلت ،وقد تهيأت البشرية لها بالمقدرة عليها وبالحاجة اليها ، فليس عنها مندوحة .. وهذا يلقى على عاتق المسلمين المعاصرين واجبا ثقيلا ، وهو واجب لن يحسنوا الاضطلاع به الا اذا جعلوا محمدا ، وحده امامهم ووسيلتهم الى الله .

لقد خدمت الطرق الصوفية غرضا جليلا ، فى نشر الدين الحق ، ولقد ربت رجالا أفذاذا ، كانوا منارات هدى ، ومثابات رشد للأمة ، عبر تاريخها الطويل، فى ارتفاعه وانخفاضه ، عندهم التمست دينها وخلقها وتربيتها .. ولكن اليوم !! فان تحديات العصر أكبر من الطرق وأكبر من المشايخ ، وليس لها غير محمد .

ونحن ندعو جميع أصحاب الطرق الى العودة الى طريقة الطرق ـ طريقة محمد ـ اذ بتقليد محمد تتوحد الامة ويتجدد الدين ، ونحن ، اذ نخرج هذا النموذج من طريقة محمد ، انما نفعل ذلك على سبيل المثال ، لا على سبيل الاستقصاء ، وهو نموذج قد يغنى كثيرا من السالكين ، ريثما تنفتح لهم آفاق الحقيقة المحمدية .

انا نوصى بادمان الاطلاع ، على كتب الاحاديث ، وكتب السيرة ، ونخص بالذكر صحيح البخارى ، لمن اراد ان يتوسع عما جاء فى هذا النموذج .. الله ولى التوفيق .

كان الجمهوريون قد أصدروا البيان التالى : ـ

الثلاثاء ٢٥ ذو الحجة ١٣٨٤ الموافق ١٩٦٥/٤/٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحزب الجمهورى

الى الراغبين فى الله السالكين اليه من جميع الطرق ومن جميع الملل .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، امابعد فان الزمان قد استدار كهيئته يوم بعث الله محمدا داعيا اليه ومرشدا ومسلكا فى طريقه وقد انغلقت اليوم بتلك الاستدارة الزمانية جميع الطرق التى كانت فيما مضى واسلة الى الله وموصلة اليه الا طريق محمد .. فلم تعد الطرق الطرق ولا الملل الملل منذ اليوم .

ونحن نسوق الحديث هنا الى الناس بوجه عام والى المسلمين بوجه خاص والى أصحاب الطرق والمتطرفين من المسلمين بوجه أخص .

ان أفضل العبادة على الاطلاق قراءة القرآن وأفضله ما كان منه فى الصلاة ، وطريق محمد الصلاة بالقرآن فى المكتوبة وفى الثلث الأخير من الليل .. كان يصلى ثلاثا أو خمسا أو سبعا أو تسعا أو احدى عشرة أو ثلاث عشرة ركعة لا يزيد عليها ، وكان يطيل القيام بقراءة طوال السور أو بتكرار قصارها أو بتكرار الآية الواحدة حتى تورمت قدماه .

ان محمدا هو الوسيلة الى الله وليس غيره وسيلة منذ اليوم .. فمن كان يبتغى الى الله الوسيلة التى توسله وتوصله اليه ولا تحجبه عنه أو تنقطع به دونه فليترك كل عبادة هو عليها اليوم وليقلد محمدا فى اسلوب عبادته وفيما يطيق من اسلوب عادته تقليدا واعيا وليطمئن حين يفعل ذلك انه أسلم نفسه لقيادة نفس هادية ومهتدية ..

ان على مشايخ الطرق منذاليوم ان يخرجوا أنفسهم من بين الناس ومحمد وان يكون عملهم ارشاد الناس الى حياة محمد بالعمل وبالقول فان حياة محمد هى مفتاح الدين .. هى مفتاح القرآن وهى مفتاح ((لا اله الا الله)) التى هى غاية القرآن وهذا هو السر فى القرن فى الشهادة بين الله ومحمد ((لا اله الا الله محمد رسول الله))

وحياة محمد مرصودة فى كتب الأحاديث وخصوصا صحيح البخارى وسيخرج الحزب الجمهورى نشرة بها ان شاء الله .

هذا ما أذاعه الجمهوريون فى ذلك التاريخ والآن وفاء بما قطعنا على انفسنا من عهد ها نحن نخرج النشرة التى وعدنا بها .

بسم الله الرحمن الرحيم

« ومن الليل فتهجد به ، نافلة لك ، عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا »

« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله »

عندما انتشر الاسلام وسادحياة الناس ، كان النبى هو امامهم ووسيلتهم الى الله ، ولم تكن الدنيا اكبر همهم . بل كانت الدنيا عندهم مطية الآخرة كما علمهم النبى ، ثم لما لحق النبى بربه سار الامر على ذلك خلافة الشيخين وصدرا من خلافة عثمان ، وفى أخريات خلافة عثمان بدأ حب الدنيا يشغل قلوب الناس ، حتى اذا جاء على عقب مقتل عثمان ، واراد ان يرد الأمر الى ما كان عليه على عهد الشيخين ، دفع حب الدنيا الناس الى خذلانه ونصرة معاوية عليه ، واصبح أمر الدنيا بذلك عاليا على أمر الدين ، وصارت الخلافة على يدى معاوية ملكا عضوضا ، كما اخبر بذلك النبى ، وقد عهد معاوية بأمر المؤمنين الى ابنه يزيد ، وجعل هذا الأمر وراثة فى عقبه من بعده ، ولقد قتل على بن ابى طالب فى زمن معاوية ، ولقد قتل الحسن بن على . وعلى يدى رجال يزيد بن معاوية ، قتل الحسين بن على ، وقتل من ابناء على عدد كبير . ثم لم يزل أمر الدنيا عاليا ، وأمر الدين منحطا بين الناس . كلما قام لنصرته قائم من ابناء على خذله الناس ونصروا عليه اعداءه من الامويين ثم من العباسيين ، حتى استيأس أنصار الدين من صلاح امر الناس ، ففروا بدينهم الى المغاور ، والكهوف ، والفلوات يقيمونه فى انفسهم ، وينشرونه بين الراغبين فيه ممن حولهم ، من غير ان يتعرضوا الى منازعة السلطة الزمنية ، فنشأ بذلك التصوف الاسلامى ، وظهر

مشايخه ممن اخذوا انفسهم بتقليد سيرة النبى ، من قبل ان يبعث ، حين كان يتحنث فى غار حراء ، وبعد ان بعث . فظهرت معارف الدين واسراره ، وانواره ، عليهم وعلى مريديهم ، وكانوا هم حفظة الدين وعلماءه ومرشدى الناس اليه ، واضطلعوا بدورهم العظيم هذا زمنا طويلا ، مما لا تزال بقاياه ، فى التربية والارشاد ، ظاهرة الى يوم الناس هذا ، فى بعض تلك البقع المباركة ، التى يحفظ فيها القرآن الكريم ، ويسلك فيها المريدون .

ان التصوف الاسلامى ، فى حقيقته ، هو تقليد السيرة النبوية .. فالنبى ، فى خاصة عمله ، قبل البعث ، وبعد البعث ، هو عمدة الصوفية ، وان كان اسم الصوفية لم يظهر الا مؤخرا . فالصوفية ، فى حقيقة نشأتهم ، هم انصار السنة المحمدية ، ولقد ازدهر التصوف فى القرون السبعة التى تلى القرن الثالث ، وكانت قمته فى القرنين السادس والسابع ، ثم لحق التصوف من التبديل ، والتغيير ، والضعف ما لحقه ، مما نراه الآن ، وهو ، على ما هو عليه ، من هذا الضعف ، وهذا الانحراف عما كان عليه السلف ، اقرب الى الدين ، من كثير من المظاهر الكاذبة ، التى تدعى الدين وتعيش باسمه .

هذا ما كان من أمر اصحاب الدين — اصحاب على بن ابى طالب وابنائه من بعده .

واما ما كان من اصحاب الدنيا — أصحاب معاوية — الذين بدأ عهدهم بانتصار معاوية ، وهزيمة على ، فانهم اخذوا ينظمون دنياهم وفق الشريعة الاسلامية ، حتى اذا اتسعت ،

وزاد أقبالهم عليها وتشعبت حاجاتهم فيها ، نشأ الفقه الاسلامى ،واخذ يستنبط ويقيس ويجتهد حتى اسرف على الناس فى أخريات الأيام وبعد بهم عن المعين واهتم بالقشور وفرط فى اللب فاصبح صورا تحكى الدين بلا دين وجاء الفقهاء الذين يعيشون للدنيا ويأكلونها باسم الدين .

والآن ، فان مسالك الدين قد انبهمت على الفقهاء ، وعلى اصحاب الطرق ، على تفاوت بين الفريقين فى ذلك ، واصبح الناس فى الجاهلية الثانية ، التى اشار اليها ، اشارة لطيفة ، قوله تعالى « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » ولقد غربت شمس الشريعة الأسلامية ، منذ حين ،وطال ليلها ، وتوشك ان تشرق من جديد ، بصبح جديد .

ان محمدا قد اخرج الناس، بفضل الله ، من ظلام الجاهلية الأولى الى نور الايمان ، وهو سيخرجهم ، بفضل الله ، من ظلام الجاهلية الثانية الى ضياء الاسلام ، وسيكون يومنا افضل من امسنا ،وسيكون غدنا « مالاعين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر »

ان غدنا هذا المامول ــ غد البشرية جميعها ــ لا يعدنا له ، ولا يرقينا فيه ، مرشد اقل من محمد المعصوم ، ولقد خدمت الطرق الصوفية غرضا نبيلا ،وقامت بدور عظيم ، فى حفظ الدين وارشاد الناس ، ولكنها اقل من ان تنهض باعباء هذا الغد ، ولابد اذن من الاخذ بالطريقة الجامعة للطرق كلها ، طريقة محمد ، فانه قد قال «قولى شريعة وعملى طريقة وحالى حقيقة . » .

هذا المضمون هو ما عنيناه فى منشورنا الأول حين قلنا « ان محمدا هو الوسيلة الى الله، وليس غيره وسيلة منذ اليوم » .

وأمر الجاهلية الثانية ، التى تعيشها البشرية المعاصرة فى هذه الآونة ، بالمقارنة الى الجاهلية الأولى ، التى عاشتها البشرية قبل اربعة عشر قرنا ، وما كان من ضرورة البعث المحمدى الاول ، وما يكون من لزوم البعث المحمدى الثانى ، هو ما عنيناه فى نفس ذلك المنشور حين قلنا « اما بعد ، فان الزمان قد استدار كهيئته يوم بعث الله محمدا ، داعيا اليه ، ومرشدا ومسلكا فى طريقه ، وقد انغلقت اليوم ، بتلك الاستدارة الزمانية، جميع الطرق التى كانت فيما مضى واسلة الى الله ، وموصلة اليه ، الا طريق محمد .. فلم تعد الطرق الطرق ، ولا الملل الملل ، منذ اليوم » .

هذا هذا ، بخصوص الطرق، وأما الملل ، فأن اليوم يؤرخ بداية تنفيذ وعيد الله حين قال ، جل من قايل ، « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

ان محمدا ليس غايبا اليوم، وانما نحن غافلون عنه لجهلنا به ، ولذلك ، فقد دعونا مشايخ الطرق المعاصرين أن يكونوا مرشدين لأتباعهم الى سيرة النبى، فى عبادته ، وفى عادته ، بأفعالهم، وبأقوالهم .. فقلنا « ان على مشايخ الطرق ، منذ اليوم ، أن يخرجوا أنفسهم من بين الناس ومحمد » وأردنا بذلك الى دعوتهم أن يحيلوا أتباعهم على النبى ، ليكون شيخ الجميع ،

ومرشد الجميع ، وأن تنشأ بينهم ،من علائق المحبة المتبادلة ، والاحترام المتبادل ، ما يكون بين زملاء الطريق ، ورفقاء السفر الى الحج الأكبر .

ان هذه الدعوة ، الى العودة الى محمد ، التى نقدمها تحقق ، فى أول الأمر ، وحدة الأمة ، وتحررها من الطائفية ، التى هى آفة الآفات ، وذلك بجمعها على تقليد رجل واحد ، هو مثلنا الأعلى .. ثم أنها ، فى آخر الأمر ، تجعل « لا اله الا الله » ثورة فعالة ، فى صدور الرجال والنساء ، كما كانت فى العهد الأول ، حين نادى بها محمد فى المجتمع المكى .. ويومئذ تتوحد الأمة باجتماعها على الله عن معرفة ويقين .

اننا قد استيقنا من أنه بتقليد محمد تتوحد الأمة ويتجدد دينها ، ولذلك فانا قد جعلنا وكدنا تعميق هذه الدعوة ، وتقدم فيما يلى نموذجا يعين كل من يريد أن يتخذ الى الله سبيلا .

صلاة محمد

وقد كانت عبادة النبى الصلاة بالقرآن ، فى المكتوبة ، وفى الثلث الأخير من الليل ،وكان يصلى مع المكتوبة عشر ركعات .. ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ،وركعتين قبل الفجر . كما كان يدمن صلاة أربع ركعات عند زوال الشمس ، وكان أحب شىء اليه ان يصلى فى بيته ، الا المكتوبة وقال لا تجعلوا بيوتكم قبورا .

وكان ينام على ذكر وفكر ،ويصحو كذلك .. ما هب من

النوم الا انشغل بالاستغفار والقراءة .. وكان أول ما يبدأ به السواك ، وكان يصلى صلاة القيام فى الثلث الأخير من الليل ، فقد روى أن النبى استيقظ فى منتصف الليل ، أو قبله بقليل ، أو بعده بقليل ، فجعل يمسح النوم عن وجهه ، وقرأ العشر الآيات الخواتيم من آل عمران « ان فى خلق السموات والأرض لآيات » ثم توضأ فاحسن الوضوء ، ثم قام يصلى .. فصلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين .. ست مرات ، ثم اوتر ، ثم اضطجع ، حتى جاءه المؤذن ، فقام ، فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلى الصبح .. هذه كيفية من كيفيات تهجده .. وفى كيفية أخرى ، كان يصلى ركعتين خفيفتين ، ثم ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ، ثم ركعتين أقل ، فأقل ، حتى تمت صلاته اثنتى عشرة ركعة ، أوتر بواحدة .. وروت عائشة من صور تهجده انه كان يصلى أربعا لا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى اربعا لا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى ثلاثا .. كما روى عنه أنه لما دخل فى صلاة التهجد قال : الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ، ثم قرأ البقرة ، ثم ركع فكان ركوعه نحوا من قيامه ، وكان يقول : سبحان ربى العظيم ، سبحان ربى العظيم ، ثم رفع رأسه ، فكان قيامه نحوا من ركوعه ، وكان يقول : لربى الحمد ، لربى الحمد ، ثم سجد ، فكان سجوده نحوا من قيامه ، وكان يقول : سبحان ربى الأعلى ، سبحان ربى الأعلى ، ثم رفع رأسه ، فكان ما بين السجدتين نحوا من السجود ، وكان يقول : ربى أغفر لى ، ربى اغفر لى .. حتى قرأ فى تهجده فى تلك الليلة

البقـرة وآل عمران والنسـاء والمائدة أو الأنعام .. ومما كان يدعو به فى التهجد « اللهم لك الحمـد انت قيـم السمـوات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد انت نور السمـوات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد انـت ملك السموات والارض ومـن فيهن ، ولك الحمد انت الحـق ووعـدك الحق ، ولقـاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمـد حق ، والساعة حق .. اللهم لك اسلمت ، وبك آمنـت وعليك توكلت ، واليـك انبت ، وبك خاصمت ، واليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، ومـا اسررت وما أعلنت ، انت المقدم وانت المؤخر ، لا الـه الا انت ، أو لا اله غيرك ، ولا حـول ولا قـوة الا بالله .. ثم يأخـذ فى القراءة .. وكان يدعو فى السجود بأدعية مأثورة .. ومما روى عن مقدار سجوده أنه كان مقـدار خمسين آية .. وأحيانا كان وهو يتلو فى تهجده ، يسأل ان مـر بآية رحمة ، ويستعيذ ان مـر بآية عذاب .. وبعد الوتر كان يقول : سبوح قدوس .. يرددها مرتين وفى الثالثة يرفع بها صوته ، ويزيد : رب الملائكة والروح .. وكان لا يدع صلاة الليل فى حضر ولا سفر ولا يغيرها فى رمضـان أو غيره ، وان منعه مانع مـن صلاتها ليـلا ، صلى من النهـار ثنتى عشرة ركعـة .. وان لم يستطعها من قيام صلى قاعدا .. فكان يصلى قاعدا ، حتى اذا بقى من قراءته قدر ثلاثين أو أربعين آية ، قام ، فقرأها وهو قـائم ثم ركع وسجـد .. كما كان يصلى ليلا طويلا قائما ، وليلا طويلا قاعدا .. فاذا قرأ وهو قـائم ، ركع وسجد وهو قائم .. واذا قرأ وهو جالس ، ركع وسجـد وهو جـالس ، وفى آخر الأمر

كان أكثر صلاته وهو جالس .. وكان يرتل السورة بوقوفه على رءوس الآى ، حتى تكون أطول من أطول منها ، ويقرأ قــراءة مفسرة .. حرفا حرفا .. ويقرأ جهرا ، بصــوت لا يتجــاوز الحجرات .. وكان يطيل القيام حتى تورمت قدمــاه .. وكانت صــلاته بين ثلاث وثلاث عشرة ركعة .. ويصليها فى كيفيــات متعددة كما ذكر سابقا ، وذلك لسياسة النفس ، حسب نشاطها وطاقتها ، وحتى لا تأخذ الصلاة صورة واحدة فتصبح عادة فانه قد قيل : ان آفــة كل عبادة ان تصبح عــادة .

ان هذا يعين المقلد ، ويتيح له سياسة نفسه ، ويصبونه مــن العادة بهذا التنويــع ، فان صلى ببعض هذه الكيفيــات اجزته ، وان صلى بكل الكيفيــات ، فى اوقات متفرقة فذلك اتم واحسن، وبــذلك يدرج نفســه حســب طاقتها ، ويستعين على الصــلاة بالاختيار فى القيــد ، ويحــارب العــادة بالتنــويــع .

حركات صلاة محمد

اما كيفيات حركات صلاته فمما روى فيها أنه اذا كبر جعل يديه حذاء منكبيه ،وفى الركوع يمكن يديه من ركبتيه ، ثم يهصر ظهره ، فأذا رفع استوى حتى يعود كل فقار مكانه ،فاذا سجد وضع يديه غــير مفتــرش ولا قابضهمــا ،واستقبل باطراف اصابع رجليــه القبلة ، واذا جلس فى الركعتين ،جلس على رجله اليسرى ،ونصب رجله اليمنى،واذا جلس فى الركعة الاخيرة ، قــدم رجلــه اليسرى ونصب الأخرى وقعد على مقعدته،واذا كان فى وتر مــن صــلاته « يعنى بعد الركعــة الأولى من صلاته او بعد الركعة الثالثة من

صلاته الرباعية » لم ينهض حتى يستوى قاعدا ، وكان يقبض فى صلاته ، ثم سـدل .

وكذلك وضوء النبى ، لم يكن صورة مكررة ، وانما كـان يتوضأ مرة مرة ، ومرتين مرتين ، وثلاثا ثلاثـا ، وكان أول أمـره يجدد الوضوء لكل فريضة .

صيام محمد

وكـان النبى يستعين على تجويد الصلاة بالصوم ، كما كان يستعين على تصحيـح حالـه فى الرضا بالصلاة ، كما امـر تعالى « استعينوا بالصبر والصلاة » . وذلك لأن الصـوم يصفـى الخواطر ، ويقلل النـوم ، ويزيد شفافية النفس لتستقبل انـوار الروح أثناء الصلاة ، كما أنـه يقوى أنوار الروح ، فقد قـال المعصوم « الصوم ضياء والصلاة نور » ولم يكن صومه عادة ، وعلى صورة واحدة وانما كان ينوعه أيضا ، فقد كان يتحرى الاثنـين والخمـيس ، كما كان أكثر صيامه السبت والاحد ، وكان يصوم من الشهر السبت والأحد والاثنـين ومن الشهر الآخـر الثلاثاء والأربعاء والخميـس ، وكان لا يدع صوم الأيام البيض فى سفر ولا حضر ، وروى أنـه كان يصـوم ثلاثة أيـام من كل شهر ، لا يبالى من أيه صام .. من أوله أو وسطه ، أو آخره .. وفى غير الصـوم ، كان يقلل من الأكل ، وقـال « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنـا لا نشبـع » .

هذه هى عبادات النبى ، اما ما قاله لغيره من عبادات أو أدعية ، فهى شريعة وليسـت سنة النبى التى هى سمتـه الذى لزمـه

فى عاداته وفى عباداته ، من لدن بعث والى أن لحق بربه .. وقد أمرنا باتباعه فيهـا فقال « صلوا كما رأيتمونى أصلى »، وصلاته كانت هيئة وحضورا ، فمـن أخذ الهيئة ولم يراقب الحضور فما رآى النبى ، كما أنه لم يصل فقد ورد « رب مصل لم يقـم الصلاة » وكان النبى يفرغ قلبه للصلاة من أى شاغل ، حتى أنه نزع قبال نعله الجديد لذلك ، كما نزع قميصه ، وكانت صلاته مرقاة ومعراجا يفزع اليها كلمـا حزبه أمر ، يرتاح بها ، وفيهـا قرة عينه .. وآية اقامة الصلاة ان تنعكس فى سيرة المصلى وفى سريرتـه فتـؤثر على جميـع معاملاته للناس ، وعلى أخلاقه .

شمائل محمد

لقد قال النبى « انما بعثت لأتمم مكارم الأخـلاق » وقال « الدين المعـاملة » .

وقد كانت حياة النبى كلها خيرا وحضورا وفكرا ، فى كل ما يأتى ومـا يدع ، وكما كانت عبادته فكرا وتجديدا ، لا عـادة فيها ، كذلك كانت عاداته بالفكر عبادة ووزنا بالقسط .. فقـد كان يقدم الميـامن على المياسر ويحب التيـامن ، وما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ، مـالم يكن اثما .. وكان فى جميع مضطـربه على ذكر وفكر ، فهو لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر ، وكذلك كان نومه وأكله ولبسه ، حتى كانت حركاته تجسيدا لمعانى القـرآن ، وكـان من ثمـرات صلاته وفكره وذكره فى جميع حالاته ، حلاوة شمائله التى حببته الى النفوس ، ووضعتـه مكان القدوة ، اذ كان رءوفا رحيما بكل المؤمنين ، يواسيهم ويترفق بهم ، وكان سموحـا لا يغضب قـط لنفسه ، وكان دائم البشر سهـل

الخلق .. ارأف الناس بالنـاس ،وانفع الناس للناس ، وخير الناس للناس ، فكان يتلطف بخواطـر أصحابه ، ويتفقد من انقطع منهم عن المجلس ، وكان كثيرا ما يقول لأحدهم « يـا أخي وجدت مني أو من اخواننا شيئـا ؟ » وكان يباسط أصحابه ، حتى يظن كل منهم أنـه أعز عليه من جميـع أصحابه ، وكان يعطى من جلس اليه نصيبه من البشاشة ، حتى يظن أنه أكرم الناس عليه ، وكان لا يواجه أحـدا بما يكره ، ولا يجفو على أحد مهما فعل ، ويقبل عذر المعتذر مهما كان فعله . وقال أنس خادمه « خدمت رسول الله عشر سنوات ، فما قال لى لشيء فعلتـه ، لم فعلتـه ؟ ولا لشيء تركته ، لم تركته » وكان بعض أهله اذا لامنى ، يقول : دعـوه فلو قضى شيء لكان » .

وكان يقول انما انـا عبد آكل كما يأكل العبد واجلـس كما يجلس العبد ، ولم يكن يتميز على أصحـابه او يستخدمهـم ، ولا حتى يدعهم ينفردون بالخدمة بحضرته ، وقد كان يعمل معهم فى بناء المسجد ، وفى حفر الخندق ،ومشى على قدميه الى بدر ، حين كان يناوب بعـض أصحابه على راحلتـه ، وشارك أصحـابه فى اعداد الطعـام بجمع الحطب ،وحين قالوا له « نكفيكه » قـال « علمت أنكم تكفونيه ، ولكنى كرهت أن أتميز عليكم » وحاول أحد أصحابه أن يحمل عنه متاعا كان يحمله من السوق لأهل بيته فأبى ، وقال « الرجل أولى بخدمة نفسـه » وكان يقول « ان الله يكره من عبـده أن يتميز على أصحابه » وفى مرة قام بين يديه رجل ، فى بعض حاجته ، فأخذته هيبته ،فلجلج ، فقال له « هون عليك ، فانى لست ملكا ، وانما أنا ابن امرأة من قريش ، كانت

تأكل القديد . » فسكنت نفس الرجل ، وافصح عن حاجته ، فقال المعصوم ، « أيها الناس ،انى أوحى الى أن تواضعوا .. الا فتواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد وكونوا عباد الله اخوانا »

هكذا كان يسير بين أصحابه ، ويشعرهم بقيمتهم وبكرامتهم ويربيهم تربية الأحرار .. وقد آن للمسلمين أن يكرموا أنفسهم ويحترموا عقولهم ويتحرروا من رق الطائفية ومن الوسايل القواصر بالرجوع الى الوسيلة الواسلة .. الرءوف الرحيم .. فيلزموا سيرته وعبادته التى هى الصلاة بالقرآن ، فى المكتوبة وفى الثلث الأخير من الليل ، وهى أمثل طريقة تغنى عما يسمى بالبدع الحسنة ، وعن المبالغات فى مقادير العبادة ، وعن استعمال السبح ، وعن كل ما لم يفعله النبى .. فان المسلمين ، ان اتبعوا النبى على هذا النحو الواضح ، تحررت ملايين الرءوس المعطلة ، والأيدى المستغلة ، والنفوس المستعبدة ، وعادت « لا اله الا الله » جديدة طرية ، فعالة فى صدور الرجال والنساء ، تبعث العزة والكرامة والحرية .

خاتمة

اما بعد فهذه طريقة محمد، وهى طريقة الطرق ـ هى النهر الذى فيه تصب جميع الخيران ـ وهى البحر الذى فيه تلتقى الانهار ..

لقد كانت طريقة محمد عبادة بالليل ، وخدمة بالنهار .. خدمة لله بالليل ، وخلوة به ومناجاة له بحديثه ، على تقلب وسجود .

وخدمة لخلق الله بالنهار ،وبرا بهم ، وكلفا بتوصيل الخير اليهم ، فى محبة وفى اخلاص وفى ايثار .
وبهذا وذاك تصبح حياة الحى كلها عبادة .. وهذا هو مراد الله من العبادة حين قال « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » .

وطريقة محمد جماعها هذه الايات :

« قل اننى هدانى ربى الى سراط مستقيم ، دينا قيما ، ملة ابراهيم ، حنيفا ، وما كان من المشركين * قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين * لا شريك له ، وبذلك امرت ، وانا اول المسلمين » كل شىء فيها لله .. معاملة للحق فى الحق ، ومعاملة للحق فى الخلق .. وهذا ما عناه المعصوم حين قال « الدين المعاملة » .

ثم اما بعد ، فان هذه دعوة الى الله ،داعيها محمد ، وهاديها محمد .. وهى دعوة وجبت الاستجابة لها امس وتجب الاستجابة لها اليوم ،كما وجبت امس ، وبقدر اكبر ، اذ الحجة بها اليوم الزم منها بالامس .« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله »والا فلا .

يا اهل القرآن ، لستم على شىء ، حتى تقيموا القرآن . واقامة القرآن كاقامة الصلاة ،علم ، وعمل بمقتضى العلم . واول الامر فى الاقامتين ، اتباع باحسان ، وبتجويد لعمل المعصوم .. اقام الله القرآن ،واقام الله الصلاة ، وهدى الى ذلك البصائر والابصار ، انه سميع مجيب .